

المأساة الفلسطينية في رواية الطنطورية بين الواقع التاريخي والخيال الأدبي

فطن مشهود بحري

جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا

famasy695@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التناول عن تاريخ المأساة الحزينة التي وقعت في أرض فلسطين المحتلة منذ الزمن الماضي إلى الوقت الحاضر، وقعت هذه المأساة الدموية في قرية فلسطينية ساحلية تعرف بالطنطورة تحدها شمالاً حيفا وعكا، وجنوباً يافا وقيسارية. وفي هذه الرواية مع رقية الطنطورية سنعيش تاريخ فلسطين بكل صفحاته المشرقة والمظلمة، وأفراحه وأحزانه، وانتصاراته وهزائمه. ويُذكر في التاريخ أن هذه قرية الطنطورة تعرضت عام 1948 م لمذبحة وحشية بعد أن كان أهلها يعيشون بأمن وسلام. يشير عنوان الرواية إلى رقية الطنطورية التي تمثل الشخصية الرئيسية والمحورية فيها، كما يقدم قرية الطنطورة من منظور نسوي. هذه الرواية كتبها الأديبة المصرية رضوى عاشور وهي آخر رواياتها. حاولت الكاتبة فيها أن تمزج بين الواقع التاريخي والخيال الأدبي وصورت ظاهرة مؤلمة من المجزرة الطنطورية قام بها الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي. ويقوم هذا البحث على التحليل السردى عن مسلسلات المأساة الدموية في أرض فلسطين.

الكلمات الأساسية: رواية الطنطورية؛ رضوى عاشور؛ المأساة الفلسطينية

Abstrak:

Penelitian ini bertujuan untuk meneliti tentang sejarah tragedi memilukan yang terjadi di negeri Palestina dengan setiap peristiwa kelam sejak dulu hingga sekarang. Tragedi berdarah ini terjadi di desa pesisir Palestina yang dikenal dengan nama Al-Tantura. Desa ini berbatasan dengan Haifa dan Acre di wilayah utara, serta Jaffa dan Caesarea di wilayah selatan. Dalam novel ini, bersama dengan Ruqayyah seorang gadis Tanturah kita menelusuri sejarah Palestina yang merasakan masa terang dan masa kelam, kegembiraan dan kesedihannya, kemenangan dan kekalahannya. Dalam realitas sejarah tercatat bahwa desa Tanturah ini menjadi sasaran pembantaian brutal pada tahun 1948 M, setelah sekian lama penduduknya hidup damai dan aman. Judul novel ini merujuk pada Ruqayya gadis Tanturah sebagai tokoh utama didalamnya, serta menghadirkan suasana desa al-Tanturah dari perspektif feminisme. Novel ini ditulis oleh penulis Mesir, Radwa Ashour yang juga berasal dari Palestina. Di dalamnya, penulis mencoba memadukan realitas sejarah dengan imajinasi sastra, dan menggambarkan fenomena menyakitkan berupa genosida massal di desa Tanturah yang dilakukan oleh Zionis Israel. Penelitian ini didasarkan pada analisis naratif terhadap rangkaian tragedi berdarah di negeri Palestina.

Kata kunci: Novel al-Tanturiyyah; Radwa Ashour; Tragedi Palestina

تمهيد

تعد رواية الطنطورية واحدة من أجمل الروايات العربية من تأليف واحدة من أهم الكتاب العرب وهي الأدبية العربية الراحلة رضوى عاشور، قامت بتأليفها في العام 2010م، وهي زوجة الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي ووالدة الشاعر تميم البرغوثي، وهذه الرواية تُعد شاهداً على معاناة الشعب الفلسطيني، وعلى إرادة الحياة عندهم. تبدأ أحداث هذه الرواية من قرية الطنطورة الفلسطينية، والواقعة على ساحل حيفا، وكانت هذه القرية موجودة فعلاً عام 1947م، إلا أنها اليوم غير موجودة لأنه تم طمسها من قبل الاحتلال، وقد صدرت الرواية لأول مرة عام 2010م، وفي بداية الرواية ستجد خريطة فلسطين، موضحاً فيها أهم المدن التي تدور بداخلها معظم الأحداث.

تبدأ الرواية على لسان رقية الطنطورية، ابنة الثلاثة عشرة سنة، وأحداث الرواية تذكر جميع الأحداث من سنة 1948م حتى عام 2000م، بداية من النكسة والنكبة، مروراً بصبراً وشاتيلاً، ثم الاجتياح اللبناني، وتحرير لبنان من الاحتلال الاسرائيلي، وتبدأ الرواية بمجزرة قامت بها جيوش الاحتلال في قرية الطنطورية. فاستشهدت فيها والد رقية، واثنين من إخوانها، إضافة إلى مئات من رجال القرية، وعلى إثر المجزرة، رحل أغلب سكان القرية إلى المدن المجاورة، وتبدأ رحلة الشتات لعائلة رقية، إذ كانت بداية في الخليل ثم إلى عمان، ثم صيدا، ثم بيروت، ثم أبوظبي، والاسكندرية، وفي النهاية كان اللقاء في الجنوب اللبناني المحرر على بوابة فاطمة.

نظرية الخيال والواقع في الرواية العربية

نظرية الخيال والواقع هي مصطلح يستخدم لوصف الفكرة التي تنص على أن الخيال والواقع لهما تأثير متبادل على بعضهما. وهي فكرة فلسفية تُطرح في مجالات مختلفة مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والأدب، والفنون، والعديد من الحقول الأخرى.

يُفترض أن هذه النظرية تقترح أن الخيال والواقع ليسا مفاهيم متناقضة، بل إنهما يتفاعلان ويتأثران ببعضهما. فالخيال قد يؤثر على كيفية تجربتنا للواقع وقراءتنا للأحداث، بالإضافة إلى توجيه تصوراتنا وطموحاتنا. وبالمقابل، يمكن أن يستمد الخيال إلهامه من الواقع والتجارب التي نعيشها. وفي مجال الفنون، على سبيل المثال، يمكن للفنان أن يستلهم أعماله من خياله، لكنه في الوقت نفسه قد يحاول تصوير العالم والواقع من وجهة نظره الخاصة. وفي علم النفس، يمكن للأفكار الخيالية أن تؤثر على المشاعر والتصرفات الفعلية للأفراد.

كما أن الخيال يلعب دوراً مهماً في عملية الابتكار والاختراع، حيث يمكن أن يكون الخيال الإبداعي الأولي هو الذي يدفع البشر إلى تحسين حياتهم وتطوير التكنولوجيا والمجتمعات. بالطبع، يجب أن نفهم أن الواقع له أسسه وحقائقه الخاصة، ولا يمكن أن يتم تجاوزه بالكامل بالخيال. إلا أن نظرية الخيال والواقع تؤكد أن هناك تفاعلاً بينهما وأن الخيال يمكن أن يكون محفزاً قوياً لتشكيل وتحويل الواقع.

فنظرية الخيال والواقع هي مفهوم يشير إلى العلاقة بين العالم الخيالي والواقعي، وكيف يمكن أن يؤثر الخيال على الواقع أو يتأثر به. يمكن أن تُنظر إلى هذه النظرية من منظورين رئيسيين:

1. التأثير الذهني على الواقع: هذا الجانب يشير إلى قوة الخيال والأفكار على شكل التصرفات والقرارات في الواقع. فعندما يكون لدينا خيال قوي أو نرسم صورًا طموحة في أذهاننا، قد نكون أكثر عرضة للتحرك بما يتماشى مع هذه الأفكار. قد يؤثر الخيال على الإنسان بطريقة تشبه الإيحاء الذاتي، حيث تؤثر الاعتقادات والتوقعات الشخصية في سلوكنا وقدرتنا على تحقيق الأهداف.

2. تأثير الثقافة والفن على الواقع: يعتبر الخيال أحد المحركات الرئيسية للفن والأدب والابتكارات العلمية والتكنولوجية. يمكن أن يلهم الخيال الفنانين والكتّاب والعلماء على حدٍ سواء لاكتشاف مفاهيم جديدة وابتكارات رائعة. وبهذه الطريقة، يمكن أن يؤثر العالم الخيالي على الواقع من خلال تطبيق الأفكار والابتكارات الجديدة التي نشأت عنه.

يجب أن نلاحظ أن العلاقة بين الخيال والواقع قد تكون معقدة ومتنوعة للغاية وتختلف باختلاف الأفراد والثقافات. يعتبر الخيال أداة قوية للإبداع والتفكير الابتكاري، ولكن من المهم أن نكون واقعيين ومتوازنين في تطبيق هذه الأفكار في الواقع لضمان تحقيق النجاح والتقدم.

وهكذا يتفق كل من شلوفسكي وتوماشفسكي حول النظر إلى النص الروائي على أنه ذو شقين: متن حكائي (fable) ومبنى حكائي (sujet) لكنهما يختلفان حول موضع الحوافز من هذين الشقين. فتوماشفسكي خلافاً لشلوفسكي يري أن الحوافز تدخل في نسيج المتن الحكائي والمبنى الحكائي معا بنسب متفاوتة وطرق مختلفة في التشكيل، فالحوافز في المتن الحكائي تعتبر العناصر الأولية للمادة الغفل، وهي ذاتها تستخدم في صياغته المبنى الحكائي، الذي يتخذ مجموعة من الأطر والأشكال، وهذه الأطر أو الأشكال يطلق عليها اسم (الأنساق)، ويقصد منها طرق ترابط البنية في الحكبة، وذلك مثل (البناء المتدرج) و(البناء المتوازن) و(البناء المؤطر) وغير ذلك.

يحصّر توماشفسكي أنساق التحفيز في أربعة أنواع هي:

1- التحفيز التأليفي ويقصد به تحقيق هدف الاقتصاد والتركيز على مجال الحوافز وإحكام البناء وترابطها، فالعناصر أو الحوافز المذكوره في الوصف أو في الحوار أو في التقارير أو في الرسائل داخل الروايه لا ينبغي --حسب هذا النسق-- أن تلقى هكذا في ساحه الرواية دون قصد أو ضابط أو وظيفة أو دور.

2- التحفيز الواقعي ويأتي بهدف الإبهام بصدق وبالواقعية ويكون ذلك عن طريق إدراج مواد غير أدبية في نسيج العمل الأدبي مثل أسماء الشخصيات التاريخية أو المدن والدول والاماكن الحقيقية أو ربط أحداث الرواية بأحداث تاريخية عامة مثل تحديد السنوات أو ذكر الثورات والانقلابات الحقيقية في الواقع أو غير ذلك. ويأتي التحفيز الواقعي أيضاً عن طريق استخدام القيم الواقعية المعاصرة أو التي انتصرت نتيجة لتطور العقل الإنساني وتطور العلمي فالأسطورة مثلا كانت جزءاً من الواقع يوماً ما بل

كانت هي التفسير المقبول لحركة الواقع لكنها في الفن تستخدم بوصفها طريقة في التحفيز ومثل ذلك أيضا السير والتواريخ القديمة التي ثبت بطلانها أو التي لم يثبت العلم صحتها.

- 3- التحفيز الجمالي: فقد يتم اختيار الحوافز المدرجة في المبنى الحكائي بناء على التحفيز الجمالي على أسس جمالية أي أن التنظيم قد يتم بناء على مطالب جمالية تخضع لقيم الفن والجمال وذلك مثل اختيار الحوافز المتناغمة أو المتوازية أو المتشابهة أو المتقابلة لإبراز عنصر الإيقاع والتدريب وتشكيل الصور في العناصر إذا كانت العلاقة بينها مجرد الاختلاف فإنها حينئذ لا تحمل أي جانب إيقاعي أما إذا كان الاختلاف قائما على تبادل حركة الإيقاع فالتشابه والتنافر أو التقابل حينئذ هما اللذان يصنعان النغم.
- 4- التحفيز السيكلولوجي ويتعلق هذا النوع باختيار الأفعال الصادرة عن الشخصيات حسب الخصائص المزاجية لها أو اختيار الحوافز الملائمة للحالة المزاجية للراوي أو الكاتب وترتيبها حيث حسب تطور هذه الحالة. على وجه الإجمال فإن الشكليات يدرجون في إطار التحفيز كل عوامل التي تساعد على قبول العالم الروائي المقرب الشعري الذي يكسر رتابة المألوف وعلى منطقية تركيبه عن طريق الربط بين منطق الفن القائم على التدريب والمنطق المرجعي التاريخ القائم على الرتابة كما أدرجوا في إطار تحفيز أيضا العوامل التي تدفع الشخصيات أو تعيقها أو تحكم علاقاتها وهكذا يكسر هذا الفريق موزان العلم الأدبي في الأدبية لكن مفهوم الأدبية عند مواروفسكي يرادف مفهوم الشعرية أما عند توماشفسكي فيرادف مفهوم التحفيز.¹

رضوى عاشور ودورها في الأدب العربي

رضوى عاشور كاتبة وناقدة وروائية مصرية مرموقة، ولدت في القاهرة التاريخ 26 مايو 1946 وتوفيت في 30 نوفمبر 2014. ولدت رضوى في عائلة من الكتاب الذين يقدرّون الأدب عالياً، فكانت مولعة بالأدب منذ صغرها، وعمل والدها مصطفى عاشور محامياً وشاعراً أيضاً، بينما لعبت والدتها مي عزام دوراً مهماً في تربية ابنتها لتصبح كاتبة مشهورة. أصبح منزلها مكتبة أدبية جمعت العديد من الكتب الأدبية ليس فقط من والد والدتها ولكن أيضاً من جدها عبد الوهاب عزام كدبلوماسي وأستاذ في الأدب المقارن في جامعة القاهرة حيث قام بترجمة العديد من الأعمال الأدبية الأجنبية.²

درست رضوى عاشور في كلية الآداب جامعة القاهرة وتخصصت في الأدب المقارن حتى حصلت على درجة الماجستير عام 1972 م ، ثم نالت الدكتوراه من جامعة ماساتشوستس أمهيرست الأمريكية عام 1975 م في مجال الأدب الأفريقي الأمريكي ، وبعد ذلك درست رضوى في جامعة عين شمس، كانت عضواً مؤسساً للنضال من أجل القومية الثقافية في مصر. كانت مدرسة أجنبية في مدن مختلفة مثل بيروت وصيدا

¹ عبد الرحيم الكردي؛ السرد في الرواية المعاصرة. (القاهرة: مكتبة الآداب. 2006)، ص 31-33

ودمشق وعمان والدوحة والبحرين وتونس والقيروان والدار البيضاء ، وكذلك جامعات غرناطة وبرشلونة وسرقسطة في إسبانيا وجامعة هارفارد وكولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية وكامبريدج و Essex University في إنجلترا وغيرها.

تزوجت رضوى عاشور من صديقها الجامعي الأديب مريد البرغوثي عام 1970. ومن هذا الزواج ولد لهما تميم البرغوثي وهو شاعر شاب حارب بأسنانه وأظافره من أجل حرية فلسطين. ومع ذلك، اضطرت هذه العائلة لتجربة حدث مأساوي في نوفمبر 1979 لم يسمح لهم بالعيش في مصر بعد أن عقد الرئيس أنور السادات كامب ديفيد مما تسبب في عودة العديد من الشعراء الفلسطينيين من مصر، ومن بينهم مريد البرغوثي الذي ذهب إلى المجر وعمل هناك، ولم يتمكن من رؤية زوجته وأولاده لأكثر من 17 عامًا.

أما أعمال رضوى عاشور متنوعة للغاية، تتراوح من دراسات النقد الأدبي إلى الأعمال الأدبية في شكل روايات وقصص قصيرة. تنوعت كتابات رضوى عاشور بين الدراسات النقدية والإبداع الأدبي؛ ومن دراساتها: البحث عن نظرية للأدب: دراسات للكتابات النقدية الأفرو-أمريكية (1995)، وهي الرسالة التي أعدها للدكتوراه. والطريق إلى الخيمة الأخرى - دراسة في أعمال غسان كنفاني (1977)، وجبران وبليك (1978)، وفي أصل رسالة الماجستير التي قدمتها لجامعة القاهرة. والتابع ينهض: الرواية في غرب أفريقيا (1980)، وفي النقد التطبيقي: صيادو الذاكرة (2001)، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات المتفرقة التي كتبها ونشرت بدوريات مختلفة عربية وإنجليزية.

ومن أعمال رضوى عاشور الإبداعية "حجر دافئ" (1985)، "رأيت النخل" (مجموعة قصصية 1987)، خديجة وسوسن (رواية 1989)، سراج (رواية 1992)، ثلاثية غرناطة (1994)، أطياف (رواية 1999)، تقرير السيدة راء (قصة قصيرة 2001)، قطعة من أوربا (رواية 2003)، فرح (رواية 2008)، الطنطورية (رواية 2010) والعديد من الأعمال حول النسوية، فضلا عن كتابها المبكر الذي يمكن أن ينتهي إلى أدب الرحلة وأدب السيرة معا: أيام طالبة مصرية في أمريكا (1983). وقد تضمنت بعض المختارات القصصية من الأدب العربي نصوصا قصصية لرضوى عاشور، ومن هذه المختارات "القصة النسائية

3

العربية" (1999)، ورائحتي شبيهة كالنعناع بالعربية والسويدية، اختيار "هنري دياب" (2001).

تُعرف رضوى عاشور بأنها روائية تحارب من أجل الأشخاص الذين طردوا من وطنهم، على سبيل المثال رقية التي عاشت مطرودة من أرض طنطورية بفلسطين. كان عليها أن يكشفها مرة أخرى عندما طلب منه ابنه حسن أن يكتب كل الأحداث التي تذكرتها عن سقوط طنطورية في أيدي الصهاينة الإسرائيليين عام 1948 م.

نالت رضوى عاشور عددا من التكريمات والجوائز خلال مشوارها منها بسكارابروزو Pescaraabruzzo في عام 2011 وهي جائزة عن الترجمة الإيطالية لرواية أطياف، وجائزة النقد الأدبي

³ حمدي السكوت؛ قاموس الأدب العربي الحديث (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015)، ص 286

Tarquina Cardarelli وهي جائزة إيطالية عام 2009، وجائزة Constantine Cavafy في الأدب وهي جائزة

4

يونانية 2007 م والجائزة الأولى في معرض الكتاب المرأة العربية عن رواية ثلاثية غرناطة عام 1995 م. وقد قال الأدباء والزعماء عن رضوى عاشور بأرائهم وتعليقاتهم وعلى سبيل المثال أحمد الزكارنة حيث أضاف أنها استطاعت في روايتها الانتصار للذاكرة الفلسطينية وبالخصوص عن قضية المرأة الفلسطينية التي شكلت شريكا أصيلا في النضال الوطني، تبدأ من مسادة الرجل مروراً بما قدمته عللا الصعيدين الفكري والاجتماعي. أما المحامي حسن عبادي فعلق على أنها استخدمت فيها لغة بسيطة قويّة، بسهّلها الممتنع، لتوصل لنا فكرتها، بلغة شاعريّة، وبأسلوب سرديّ فيّ بعيد عن التعقيد، وقال أن الرواية ليست برواية تاريخيّة بموجب المعايير العلميّة رغم أنّ كاتبها درست التاريخ والجغرافيا، بالزمان والمكان، وتمرّست بهما فكانا أرضيّة خصبة للرواية وأثرها كثيراً. وفي تعليق آخر عند منة الله شلبي الناقدة أنه عندما تكتب رضوى عاشور، فهي تنسج خيوطاً من الإبداع لتضع أمام قارئها خلطة متوازنة من التاريخ والمشاعر والإنسانية، حتى يكتفي بما تكتبه ولا يعد يرغب في قراءة المزيد، لأن ببساطة جميع ما كتب في التاريخ والأدب والشعر يصبح ضئيلاً أمام ما تكتبه رضوى عاشور.

النكبة الفلسطينية في ذخيرة الأدب العربي

لا غرابة أن قضية من الموضوعات التي تناولها الأدباء العرب في العصر الحديث في شتى فنونها وموضوعاتها وأغراضها من الشعر والنثر. ويمكن تقسيم الأدب الفلسطيني حسب تاريخه إلى قسمين هما ما قبل النكبة وما بعد النكبة. وقعت هذه النكبة عندما بدأ الحرب أول مرة بين العرب والإسرائيل في عام 1948 م وهذه حادثة عظيمة في تاريخ فلسطين. تحدث الأدباء عن وصف فلسطين الخصبة كبلد مرموق

5

وأمان كما نجد مثلاً في شعر لطفي الياسيني في قصيدته "فلسطين الحبيبة يا بلادي" ، وكذلك ما كتبه الحبيب بن نوفل قهوجي مصورا عن أرض فلسطين المستقر في شعره :

هبط الروض والورود العذاري # باسمات في الأكمام

سمع الطير ينشد لحنا # وقعته أسابع الأنسام

6

وأطلت حورية الليل تتلو # للروابي أسطورة الأمهام

وتغيرت الصور الأدبية بعد هذه النكبة من قبل الأدباء البارزين بالمقاومة من أمثال فدوى طوقان وأخيه إبراهيم طوقان، وهارون هاشم رشيد، وإسماعيل عبد الرحمن، وجبرا إبراهيم جبرا، وخليل زقطان،

⁴ انظر www.qallwdall.com رضوى عاشور المناضلة التاريخ 20 يوليو 2023
⁵ لطفي الياسيني من شعراء المقاومة المولود في 26 يوليو 1922 م في ولاية الخوف بلبنان ثم انتقل إلى فلسطين. انظر

<http://www.shomosnews.com>

⁶ محمد محمد حسن شراب؛ شعراء فلسطين في العصر الحديث ط 1 ص 100-101

ومحمود الحوت، ونهاد يونس درويش، ونزهة سلامة، وسلمى الخضراء، وتوفيق الزيات، وسامح قاسم ومحمود درويش بل ظهرت الأسرة الكاملة من أدباء المقاومة مثل مريد البرغوثي وزوجته رضوى عاشور وابنه تميم البرغوثي.

لقد أجرى مصطفى عبد الغني في كتابه أن المقاومة الفلسطينية فعلا لم يتوقف قط وإنما أضيف إليه الفعل المقاوم في شتى صور الأنماط السردية المتباينة عبر النص الروائي. فمن الملاحظ أن المقاومة داخل الأرض المحتلة بدأت منذ النكبة عام 1948 م، ولكنها بدت أكثر وضوحاً في الستينيات، إذ يتفق النقاد على أن سؤال المقاومة كان يفرض نفسه بشكل حاد في بداية الستينيات حين تجاوزت المدونة الروائية الفلسطينية فيه قرابة خمسين رواية بين عامي 1960-1970 م ووصلت هذه المدونة خلال العقود الثلاثة

7

التالية إلى مائتي رواية.

تحليل سردي رواية الطنطورية الأدبية

هذه الرواية كتبها رضوى عاشور بعنوان الطنطورية أى تشير إلى قرية الطنطورية التي تمثل الشخصية الرئيسية والمحورية فيها، كما تقدم أيضا عن قرية الطنطورة من منظور نسوي، فهذا يمكن للقارئ أن يعرف العلاقة الوثيدة بين رقية بوصفها امرأة والطنطورة بوصفها قرية، والطنطورية امرأة منسوبة إلى قرية الطنطورة. كلمة واحدة تدل على معنيين متلاصقين في وقت واحد. ويمكن القول أن قضية

8

تحرير المرأة ليست مفصولة عن تحرير الوطن.

تدور الأحداث في قرية الطنطورة الواقعة على الساحل الفلسطيني جنوب حيفا قرب بلدة صفورية، مروراً ب(أبو ظبي) و(بيروت) وصولاً إلى (الإسكندرية). وقد تعرض أهل هذه القرية بمذبحة وحشية من قبل الصهاينة الإسرائيليين عام 1948 م، وحدثت مأساة دموية من أهل فلسطين حتى سقطت هذه القرية على أيدي الأعداء.

تتكون شخصية الرواية من الشخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية. تدور هذه الشخصيات في أسرة فلسطينية مسلمة تسكن في قرية الطنطورة. وتتكون هذه الشخصية من رقية وأبيها وأميها وأخويها الشقيقين والأقرباء الآخرين، ويمكن سرد الشخصيات فيما يلي :

الرائية	رقية	امرأة بسيطة تحكي حياتها منذ طفولتها ووقوعها بالحب لأول مرة، وتمثل رقية هنا السارد الضمن في أغلب الأحيان، وتحكي الكثير من المآسي التي عاشتها، وهي بذلك تجسد شخصية المرأة الفلسطينية المناضلة والتي تحاول الحفاظ على الهوية الفلسطينية رغم الشتات.
الثانوية	أبو الصادق	والد رقية وصادق وحسن وزوج زينب، وافق على زواج ابته رقية من ابن عين غزال.

7 مصطفى عبد الغني؛ المقاومة والمنفعة في الرواية الفلسطينية (القاهرة: دار الكرز. 2012)، ص 8
8 كبري روشنفر، هادي منظم، سمير راد، شخصية المرأة في رواية الطنطورية، صفحة 3. بتصرف.

والدة رقية وأخت حليلة، كانت في بداية الرواية رافضة لزواج رقية من ابن عين غزال وخائفة عليها، لكنها عندما احتل الصهاينة القرية كانت قائدة ذكية قوية لا تخشى المخاطر.	زينب	
شقيقا رقية، ذهبا للعمل في حيفا، وأصبحت مصدر المعلومات للقرية لما يدور حولها من أحداث.	صادق وحسن	
زوج حليلة، يؤدي دورًا مهمًا في بناء صرح الذكريات في أحداث هذه الرواية.	أبو الأمين	
أخت زينب وخالة رقية، وهي الوحيدة التي بقيت من عائلة رقية.	حليلة	
زوج رقية، درس الطب وعمل طبيبًا في الهلال الأحمر الفلسطيني بعد انتقاله مع رقية إلى بيروت.	أمين	
يتزوج من كريمة الصفورية بنت الشتات الأكثر قسوة، وتحكي قصتهما عالم المخيمات المفروضة في لبنان.	عز الدين	
فتاة تتبناها رقية وزوجها أمين بعد أن دمرت قذيفة صهيونية بيتها.	مريم	
يعيش صادق حالة من الرفاهية، يدرس الطب ويسافر إلى أبو ظبي للحصول على المال، ويحاول قدر المستطاع أن يتحمل مسؤولية أسرته ومعيشتها.	صادق (ابن رقية)	
يمثل خيار العلم، فيسافر إلى مصر للالتحاق بالجامعة، ثم إلى كندا لإكمال دراساته العليا، يطلب حسن من أمه كتابة قصة الطنطورية كشاهدة على ما حدث فيها من جرائم.	حسن (ابن رقية)	

تحكي رضوى عاشور هذه القصة على لسان البطلة رقية عن تفاصيل الحياة اليومية على أرض آمنة لا تعرف ما تنتظرها، ثم فجأة تأخذ القارئ إلى قلب النكبة، فيراها وأسرتها تلملم أشياءها وتودع أرضها ودارها، ومفتاح الدار الكبير معلق بحبل حول رقبة والدة رقية، لتهرب العائلة إلى حياة جديدة صعبة ومختلفة، فتركز الرواية على تفاصيل الحدث الرئيس مستحضرة معاناة الشعب الفلسطيني الذي شرد عن أرضه بعد سلسلة مذابح قام بها الاحتلال الإسرائيلي، خاصةً مذبحه الطنطورية.

يُقتل في مذبحه الطنطورية والد رقية وشقيقاها، فتراه بين أكوام القتلى أثناء ركوبها في الشاحنة للهرب إلى مكان لا تعلمه، فتنبّه أمها إلى ذلك، والتي من شدة ألمها تُنكر فقدانهم وموتهم، فيتضح من خلال مذبحه الطنطورية أثرها في الشخصيات وسلوكها.

تُكمل الكاتبة سرد حكايات الشعب الفلسطيني في الشتات والمخيمات على شكل سيرة ذاتية لبطلة الرواية رقية، موضحة من خلالها ما أصاب الشعب الفلسطيني جراء ما يُعرف بالتطهير العرقي في المخيمات الفلسطينية، وما حدث من اعتداء على مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت، ومجزرة صبرا وشاتيلا التي توفي فيها زوج رقية.

تذهب أسرة رقية إلى جزيرة (بيربوس) للاحتفال بزواج ابنها حسن، بعد أن تعذر لقاء الأسرة بسبب تشرذمها في مختلف بقاع الأرض إلا على تلك الأرض، وتُكمل الكاتبة الأحداث بذكر ما فعله الصهاينة من قتل لرموز الأدب والفكر من رجالات فلسطين في الغربية والشتات، وتذكر حادثة اغتيال رسام الكاريكاتير ناجي العلي.

أسلوب رضوى عاشور من النوع السهل الممتنع، فالقارئ لا يجد سوى البساطة في الحوار وفي أسلوب الكتابة، ومن بساطتها وقربها للناس يظن أنها استخدمت لهجة عامية، وإذا تعمق في الكلمات، سيجد أنها فصحي سليمة، لذلك لا يمكن أن يختلف القراء في أسلوب رضوى عاشور الذي يتميز كثيراً عن

كل ما حولها. كما أنها استطاعت في هذه الرواية أن تُدخل الشخصيات العربية المعروفة في تلك الفترة إلى أحداث الرواية، مثل ناجي العلي، وكذلك غسان الكنفاني، وأسلوبها الذي كان يجمع ما بين الأحداث التاريخية الحقيقية وأحداث الرواية الخيالية، بأسلوب سردي مبسّط. مما يجعل القارئ يعيش داخل البيت الفلسطيني، ويسمع الأهازيج والمواويل الفلسطينية على أصولها، ويتذوق ويشم الأكل الفلسطيني كأنه معهم. الاستعارة والصور الفنية في رواية الطنطورية استطاعت الكتابة تجسيد ووصف الأماكن والمشاعر والأحداث والتغيرات التي حدثت للفلسطينيين بدقة متناهية من خلال استخدام الرمزية، ونذكر مثالاً لذلك: تصوير طيف حبيها يحيى قادمًا من البحر، إذ إن البحر يدلّ على الموت، ولكنّه أيضًا يدلّ على الميلاد والحياة.

وفي المشهد الأخير من الرواية، تصوير مشهد لقاء الأبن والأم والحفيد وكان عمر رقية حينها 77 عامًا، وقامت بمناولتها عقداً فيه مفتاحاً لباب بيتها في قرية الطنطورة، وذلك رمزاً لأملها في رجوعهم إلى بيتهم يوماً ما.

أما الحوار والسرد في رواية الطنطورية فكان سرد الرواية قصصي، ومحكي على لسان رقية، بطلة الرواية، ومن وجهة نظرها، ومن طفولتها حتى كبرت، وقد استطاعت أن تجسد لغة الفلسطينيين وطريقة كلامهم ولهجتهم بحوارات شخصيات الرواية، إضافة إلى استخدام العديد من الكلمات ذات اللهجة الفلسطينية، وكذلك الأمر في أهازيجهم ودبكاتهم. كما أنها ركزت على الجانب الاجتماعي في القرية، وأوضحت كيف كان الناس يعيشون سويًا، وبالأخص أسرة رقية، فتكاملت عبر السرد أجواء الواقع، مما يشد القارئ ليصبح جزءاً من الطنطورة.

الواقع التاريخي للمأساة الفلسطينية

المأساة هي مصطلح يُستخدم لوصف حدثٍ أو واقعٍ يكون محزنًا ومأساويًا بشدة. تعبر المأساة عن أحداث مريعة ومأساوية تحدث في الحياة الإنسانية أو في أحداث تاريخية أو أدبية. تتسم المأساة بالكثير من الحزن والألم والفقْدان، وقد تكون نتيجة للظروف الطبيعية القاسية، مثل الكوارث الطبيعية، أو لأسباب اجتماعية وثقافية، مثل الحروب والصراعات، أو لأسباب شخصية، مثل الفقْدان العاطفي والمآسي العائلية.

تحكي المأساة قصصًا تتضمن آلامًا ومعاناة شديدة للأفراد أو المجتمعات، وتعكس غالبًا جوانب مظلمة من الحياة البشرية. تمتلئ القصص المأساوية بالصراعات الداخلية والخيبات وفقْدان الأمل، وتترك انطباعًا قويًا على القراء أو المشاهدين. ومن خلال التعاطف مع شخصيات القصة والتفاعل مع مآسائها، يمكن أن تكون المأساة تجربة تأملية وتربوية تشد الانتباه إلى أهمية الإنسانية والتسامح والعدل.

تُعدّ المأساة نوعاً من أنواع الأدب والفن، وقد ازدهرت عبر العصور في العديد من الثقافات والحضارات. تعتبر أعمال المأساة واحدة من الوسائل التي يُمكن من خلالها التعبير عن التجارب الإنسانية الصعبة والمعقدة والتي تتراوح بين المفرحة والمحزنة.

المأساة الفلسطينية تشير إلى الصراع الدائر منذ عقود بين الشعب الفلسطيني وإسرائيل والقضايا المتعلقة بالأراضي والهوية في منطقة فلسطين التاريخية. تأتي المأساة الفلسطينية من احتلال أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة من قبل إسرائيل في عام 1967، بالإضافة إلى تهجير الشعب الفلسطيني وفقدان الأراضي والممتلكات خلال حروب وصراعات سابقة.

في عام 1948، حدث ما يعرف بـ "النكبة"، وهو تشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين من منازلهم وقراهم ومدنهم بعد تأسيس دولة إسرائيل، مما أدى إلى إنشاء مجتمع لاجئ فلسطيني كبير ينتشر في الضفة الغربية وقطاع غزة والدول المجاورة. منذ ذلك الحين، شهدت المنطقة اندلاع صراعات مستمرة، اشتدت في بعض الأحيان وتهدأ في أخرى، مما تسبب في تدهور الوضع الإنساني والاقتصادي للفلسطينيين وانتهاك حقوقهم الأساسية.

المأساة الفلسطينية تشمل العديد من القضايا المعقدة مثل الحدود والمستوطنات والقدس وحق العودة للاجئين الفلسطينيين والاعتراف بدولة فلسطينية مستقلة. يتم التفاوض بين الجانبين المعنيين من وقت لآخر، لكن حتى الآن لم يتم التوصل إلى تسوية نهائية تحل المشكلة وتحقق السلام والاستقرار في المنطقة.

9

ومن بين المأساة الفلسطينية المؤلمة مجزرة صبرا وشاتيلا⁹ هي حادثة مأساوية وقعت في سبتمبر 1982 في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في بيروت، لبنان. خلال هذه الفترة، كانت قوات الجيش الإسرائيلي تحتل بيروت الغربية والمنطقة المحيطة بها بعد العملية العسكرية المعروفة بـ "سفر السلام"، والتي تهدف إلى مكافحة المنظمات الفلسطينية في لبنان.

خلال فترة الاحتلال، تعرض المخيمان لهجوم من قبل قوات متحالفة مع إسرائيل، بما في ذلك ميليشيات مسيحية لبنانية. تعرض سكان المخيمين، بما في ذلك النساء والأطفال وكبار السن، لمجزرة وحشية وتعرضوا لعمليات قتل وتعذيب واغتصاب وتشريد.

9 مجزرة صبرا وشاتيلا هي مجزرة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في 16 سبتمبر 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام على يد مجموعات اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني وجيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي. عدد القتلى في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين 750 و 3500 قتيل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين، أغلبيتهم من الفلسطينيين ولكن من بينهم لبنانيين أيضاً. في ذلك الوقت كان المخيم مطوّقاً بالكامل من قبل جيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي الذي كان تحت قيادة اريئيل شارون ورفائيل إيتان أما قيادة القوات اللبنانية فكانت تحت إمرة إيلي حبيقة المسؤول الكتائبي المنتفد. وقامت القوات اللبنانية بالدخول إلى المخيم وبدأت تنفيذ المجزرة التي هزت العالم وكانت قد استخدمت الأسلحة البيضاء وغيرها في عمليات قتل سكان المخيم، وكانت مهمة الجيش الإسرائيلي محاصرة المخيم وإنارته ليلاً بالقنابل المضئية، ومنع هروب أي شخص وعزل المخيميين عن العالم، وبهذا سهّلت إسرائيل المهمة على القوات اللبنانية، وأتاحت قتل الفلسطينيين دون خسارة رصاصة واحدة.

أثارت الحادثة موجة من الاستنكار والغضب على المستوى العالمي، وتم إجراء تحقيقات رسمية للكشف عن ملابساتها. تبين أن هناك تواطؤاً وإهمالاً من جانب السلطات الإسرائيلية بما في ذلك عدم تدخلها لوقف الأعمال العنفية. تقدر حصيلة الضحايا بأنها تتراوح بين 700 و3500 شخص، وتتضمن ضحايا فلسطينيين ولبنانيين.

النتائج

يمكن استخلاص النتيجة أن رواية الطنطورية رواية تتناول النكبة الفلسطينية واللجوء الشتات والغربة، وجاءت الرواية شعبية جميلة وسلسة، فهي محكية باللهجة الفلسطينية، واستعمالها للأمثال الشعبية جعلها توصل لنا فكرتها بلغة شاعرية وبأسلوب سردي فني بعيد عن التعقيد. وتكون رقية رمزا لمعاناة المرأة الفلسطينية المتشعبة بالأمل رغم الضياع فكان جميلاً جداً أن تكتب المرأة عن المرأة. هذا الخيال المأساوي الذي حدث في طنطورة القرية الفلسطينية يتماشى مع الواقع المأساوي الذي حدث هناك في النكبة الفلسطينية عام 1948 م. هذا الامتزاج بين الواقع والخيال يعطي صورة مؤثرة لدى القارئ عن النكبة الفلسطينية المحزنة من الماضي حتى الآن.

المصادر والمراجع

- الأشتر، صالح؛ مأساة فلسطين وأثرها ال الشعر المعاصر (دمشق؛ مطبعة جامعة دمشق. 1961)
- تروني، عائشة وبشرى بدر؛ مكونات الفعل السرد في رواية الطنطورية لرضوى عاشور. (المسيلة: جامعة محمد بوضياف. 2019)
- دروزة، محمد عزة؛ مأساة فلسطين عرض موجز لقضية فلسطين وتاريخها وتطورها وحاضر فلسطين ومستقبلها (دار البقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1379/1959 م)
- الزبيدي، عبد الحكيم، اليهود في مسرح علي أحمد باكثير (دمشق: دار الفكر. 2009)
- سعيد، جميل؛ مأساة فليطين وأثرها في الشعر المعاصر (بغداد؛ مطبعة العاني. 1965)
- السكرت، حمدي؛ قاموس الأدب العربي الحديث (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015)
- شراب، محمد محمد حسن؛ شعراء فلسطين في العصر الحديث ط 1
- عاشور، رضوى؛ ثلاثية غرناطة (القاهرة. دار الشروق. 2001)
- _____؛ رواية الطنطورية (القاهرة. دار الشروق: 2010)
- _____؛ قطعة من أوروبا (القاهرة. دار الشروق. 2003)
- عبد الغني، مصطفى؛ المقاومة والمنفى في الرواية الفلسطينية (القاهرة: دار الكرز. 2012)
- الكردي، عبد الرحيم؛ السرد في الرواية المعاصرة. (القاهرة: مكتبة الآداب. 2006)



الكيالي، عبد الوهاب ؛ المقاومة الفلسطينية والنضال العربي 1969-1973 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1973)

www.qallwdall.com

<http://www.shomosnews.com>

<http://mawdoo3.com>